

المسلوخ

للقصصى الروسى فسقولا ميخائيلوفيش كارشين
بعثكم الأديب السيد فخرى شهاب السعيدى

كثيراً ما تعرض للالاك ، وإنه
كثيراً ما قطع عشرات الأميال
سعيًا على قدميه فى زمهرير الشتاء
القارس ! ولكن الله تعالى قد
أنجاه من كل هذا ..

وكانت الفرقة التى كان فيها

سيده فى مقدمة الصفوف الحاربة

التي كانت تكافح الأتراك مدى أسبوع كامل لم تفتر
خلاله الحرب ، أو ينقطع إطلاق الرصاص . وكان
— هو — يحمل جرايات سيده من شاي أو طعام
إلى مقره فى خنادق القتال مجتازاً بها مسافة طويلة
فى مساحة الحرب التي يصم الأذن فيها أزيز الرصاص
فكان ذلك يروعه وربما أبكاه ! ولكنه ما كان
يتوقف عن الضىّ حاملاً إلى سيده ما جاء له به من
مطبخ الجيش . وكان ذلك منه مدعاة إلى ابتهاج
الضباط فقد كان الشاي الساخن فى متناولهم متى
اشتهوه !

عاد « سيمن » من الحملة سالماً لولا أن كان
أصابه مرض مؤلم فى يديه ورجليه ومنذ ذلك الحين
لازمته التماسة ، فقد وجد عند أوبته أن أباه الشيخ
قد توفى ، وأن ابنه الصغير قد لحق بجده ، وأنه لم
يبق غيره وغير زوجة فى الدار ... ذلك إلى أنه لم
يكن يكتب له التوفيق فى عمل ما ، وكيف — ترى —
يكون التوفيق وهذه أطرافه قد شلتها الألم المبرح
فهى لا تفيد فى الحرت ؟

ولم يصبر « سيمن » على الحياة فى قرينته
كذلك : بائساً ، مقعداً فقيراً ؛ بل ذهب هو
وزوجه يبحثان عن « السعادة » فى أماكن

كان « سيمن إيفانوف » حارساً على خط
من خطوط السكك الحديدية ؛ وكانت المسافة بين
مسكنه وبين أقرب المحطات إليه — قرابة سبعة
أميال ؛ ولم يكن حول مسكنه ذاك سوى دور زملائه
الحراس الآخرين ، وسوى مدخنة سوداء سامقة فى
الفضاء لطاحونة كبيرة شيدت قبل عام على بعد
ثلاثة أميال منه

كان « سيمن إيفانوف » هذا مريضاً مقعداً
وكانت له سابقة الاشتغال فى خدمة ضابط فى الجيش
لازمه فى كل الحملات التى اشترك فيها ، ونالته من
ذلك ضروب الأذى — فانه كثيراً ما جاع ، وإنه

(*) المسلوخ : كلمة استعملناها لمن يمين لارشاد سائق
القطار بالتلويح له بعلامين صغيرين مشيراً عليه بتخفيف السرعة
أو الانطلاق حسب مقتضى الحال — ويقابلها بالانكليزية
The Signal .

أما مؤلف هذه القصة فأديب روسى نابغ ، من السائرين
على مذهب « تولستوى » والمتأثرين بأسلوبه وأفكاره .
ولد سنة ١٨٥٥ وكانت له فى الجيش الروسى خدمات أثرت
فى أدبه القصصى إذا انتزع من حياة الجيش تلك صوراً جميلة
رائعة لقصصه التى كتب ، والقصة التى تقدمها للقراء اليوم
تريهم طرفاً من تصويره تلك الحياة . ثم أصيب باضطراب
فى أعصابه جعله ينقل إلى الناس بعض ما كان يعانیه من ذلك
الداء الويبيل فى كثير من قصصه التى كتب فى تلك الفترة
من عمره . وقد مات « كارشين » منتعراً وهو ما يزال
فى ميعة الشباب سنة ١٨٨٨

إن أحد حراس « الخط » سيخل مكانه ، وسأكرم رئيس الشعبة في شأنك .

— أنا شاكر جميل صنمك ، مولاي !

... وكذلك ظل « سيمن » في المحطة يساعد

السكانين بأعداد طعام المدير طوراً ، ويقطع لهم الخشب تارة ، أو يكنس الساحة والبلاط أحياناً حتى قدمت — بعد أسبوعين — زوجته نخرج لاستقبالها ، وجعل لها أمتعتها في عربة يد صغيرة إلى مقرها الجديد .

كانت داره هي مقر حراسته الخط وملاحظته للقطار ؛ وكانت داراً جديدة البناء دافئة ، هذا إلى أن باستطاعته أن يحتطب ما يشاء ، وأن يزرع أرضاً صغيرة حول داره ... وإنه ليفكر الآن في شراء بقرة وحصان ليستفيد منهما في تلك الأرض

وأعطى « سيمن » كل ما يحتاج إليه في أداء وظيفته : علماً أخضر وآخر أحمر ، ومصباح نفط ، وبوقاً ومطرقة ومفتاحاً بقوى به مسامير الخط ، ومكنسة وكلاًباً ، كما أعطى كئنايين صغيرين في أحدهما قوانين استعمال العاملين وفي الآخر مواعيد وصول القطار ... وما كان « سيمن » يستطيع أن ينام في بادي الأرمال إلا لأن استظهار مواعيد القطار كان موضع اهتمامه وشغله ... فلو أن قطاراً سيمر بعد ساعتين كان ينهض له « سيمن » فيصلح من الخط شيئاً ، ولو بدقات بسيطة عليه من مطرقة ، ثم يجلس على مصطبة حيال داره يرقب مقدم القطار ، فإن استمعى عليه ذلك بالسماع تحسسه بهتزاز الأرض أو ارتجاج خطوط السكة . وحفظ قواعد استعمال العاملين عن ظهر قلب بعد صعوبة قاساها كان الفصل فصل الصيف ، والممل في الصيف

أخرى ... لقد ذهباً يبحثان عن عمل في سكة القطار في « خار كوف » و « الدون » ولكن الحظ لم يواتهما أبناً ذهباً ؛ فاضطرت زوجته إلى أن تكون خادماً ، وظل هو يكمل رحلته في التفتيش عن عمل له ... وإنه لجاد في سفره إذ صادف مدير إحدى محطات القطار الصغيرة ؛ فتفرس فيه ، وأخذ يشبهه وينفبه كأن له به سابق معرفة حتى ذكر من يكون هذا الرجل ... إنه من ضباط الفرقة التي كان فيها سيده !

— أأنت « إيفانوف » ؟

— أجل . . أنا هو ياسيدي .

— وكيف جئت إلى هذه المحطة ؟

فقص « سيمن » قصته عليه .

— وإلى أين أنت ذاهب الآن ؟

— لست أدري يا مولاي !

— ماذا تعني ! أأجنون أنت فلا تدري أين

تضرب في الأرض ؟

— هو ما تقول يا مولاي ، إذ ليس لدى مأوى

أجأ إليه . وإن على أن أمضى في التفتيش عن عمل مهما كان نوعه يا صاحب السعادة .

فنظر إليه مدير المحطة لحظة ، وظل ساهماً ،

ثم قال له : —

— إسمع يا صديقي ، ابق في المحطة الآن ؛ أنت

متزوج فيما أعتقد فأين زوجك ؟

— أجل ، هذا صحيح ؛ سيدي أنا متزوج ،

وزوجي في « كرسك » في خدمة تاجر هناك .

— حسن ، فاكتب إليها تستقدمها لتوافيك

إلى هنا ، وسأحصل لها على بطاقة سفر مجانية . .

فنظرت إليه الشابة بادی الأمر ثم أجابته قائلة :
— وبماذا تريده أن يتحدث إليك ؟ إن لكل
امرى شغله الشاغل ... هلا انصرفت إلى ما أنت
فيه محروساً ؟

ولكن ما أن تمضي على ذلك شهر أو لواد شهر
حتى عرفنا جملة من الأصدقاء هناك ... فكان
«سيمن» إذا ضمته على الرصيف جلسة و«فاسيلي»
تبادل وإياه الحديث عن سير حياتيهما التي يحيان
وأزجي فراغه وصاحبه بالتدخين ، وكان «فاسيلي»
ساكتاً أغلب وقته يستمع لأحاديث «سيمن» تارة
عن قريته التي نشأ فيها ، وتارة عن أخبار الحملة التي
شهد ، ثم تنتهي الجلسة بأن يختم «سيمن» كلامه
قائلاً :

— إنها ليست بالتعاب القليلة تلك التي قاسيتها
طوال حياتي ... إن الله لم يجعلني ذا حظ سعيد ،
ومهما يكن من شيء فانه قسم لي هذا يا أخى ... ثم
ينظف «فاسيلي» غلبونه من الرماد بدقة على
القضبان الحديدية وينهض وهو يقول :

— كلا إنها ليست «قسمة» المرء التي تجلب
له «النعاسة» إنعام «الناس» فليس مثل الناس
وحوش ! إن الدئاب لا تأكل الدئاب ، ولكن
الانسان يغترس أخاه الانسان وهو على قيد الحياة !
— كلا يا صديقي فالدئاب يأكل بعضها بعضاً ،
ليس إلى إنكارك هذا من سبيل !

— هكذا خطرت لي الكلمة فقلتها ... إنهم
جميعاً سواء ، فليس ثمة مخلوق أقسى من مخلوق !
ولكن لو لا أن كان في الانسان «الشر» و«الطمع»
لاستطاع أن يعيش ... إن كل فرد يتحين بك

يسير ، فليس ثمة تلج بقضيه تغايغه ... بل
كل ما هناك بضمة قطر ندرج على ذلك الخط صرات
قليلة في اليوم ؟ فكان سيمن يخطر في مصامته (١)
المسؤول عن حراستها مرتين في اليوم : يربط هذا
الخط ، ويقوى ذلك السمار ، ويمدّل تلك الصابورة
ويلاحظ أقبية الماء ، ثم يعود إلى داره ليستغل في
زراعة أرضه ؛ ولكن أعماله في الدار كان يطلها
شيء واحد هو طلب «الاذن» من ملاحظ الطريق
الذي يرفع الأمر بدوره إلى «رئيس الشعبة»
وقبل أن يجاب الطلب يكون قد فات الأوان ! وكان
ذلك سبب تدمير «سيمن» وزوجه المستمر

مضى على مقام «سيمن» شهران فبدأ يتعرف
إلى جيرانه ويتخذله منهم الأصدقاء ... كان أحدهم
شيخاً طاعناً في السن ، تفيض الألسن بشائنة
الاستغناء عنه إذ لم يكن يستطيع الخروج من داره
وكانت تعينه على أداء واجبه وزوجه فهي التي تلاحظ
الخط وتقوم بذلك مقامه ، وهي التي تؤدي ما كان
زوجها مسؤولاً عنه من واجبات ... وكان الآخر
شاباً في مقتبل العمر ، لقيه «سيمن» أول ما لقيه
على خط السكة الحديدية حين جمعتهما المهنة المشتركة
فأتى «سيمن» على الشاب نظرة ثم انحى له وحياء
فرد الآخر تحيته عليه ثم استدار يخب السير في طريقه
والتفت زوجها بماذا كانت «إرينا سيمن»
تبتدر صاحبها بالتحية ، وكانت الأخرى ترد عليها ثم
تنصرف إلى ما كانت فيه ... وقد صادف «سيمن»
زوج صاحبه مرة فـألها قائلاً :

— ما بال زوجك يا سيدتي طوبل السكوت ،
لا يتكلم إلا لماماً ؟

(١) المصامة : الحدود المعينة التي لا يجوز تخطيها إلى غيرها

الفرصة لينقض عليك وأنت ما تزال حياً فيختطف
لقمتك من فمك إليه !

— لست أدري ، يا أخى ، ربما كان الأمر على
ما تقول ... ولكن إذا كان هذا حقاً فتلك
« قسمة الله ! »

— فإن صح ما ذهبت إليه فليس لدى أحدا
ما يقول للآخر ... إنما يهذلو عزنونا كل ظلامه
إلى الله واكتفينا بالصبر على مضض العيش فما نحن
بشر ، بل أنعام ... هذا ما أرى !

ثم يستدير ليخفى دون أن يسلم على رفيقه ،
فيتأدبه « سيمن » ويمتد عليه لهذا التهجيم ، ولكن
« فاسيلي » يجد في السير إلى أن تنقطع عن العين
رؤيته في النمط فيمود « سيمن » إلى زوجه
ويخبرها بأن جارها هذا لا يمدو كونه وحشاً فظاً !!
على أن هذا الحديث لم يكن ليجر إلى المشادة
فسرعان ما يعود الاثنان إلى صفائهما ويجلسان حيث
كانا من قبل ويبحثان ما كانا يبحثان فيه فترى
« فاسيلي » يقول :

— حسن يا أخى ، فلولا هؤلاء الناس ما كنا
ناوي إلي هذه المساكن التى ننجز فيها واجباتنا ...
— وما اعتراضك على هذه الدور ؟ إنها ليست
بالرديئة ... إنك تستطيع أن تعيش فيها

— نعم تستطيع أن تعيش فيها ، نعم ! ذلك
رأيتك أنت أيها الشيخ ... الفر ! ولكن خبرني
بربك عن نوع هذه العيشة التى يعيش الفقراء سواء
في دور الحراسة هذه أو في أى ملجأ آخر ...
حدثني عنها كيف تكون ؟ إن « مصاصى الدماء »
سباً كلونك وأنت ما تزال على قيد الحياة !
سيستفدون آخر قطرة من دمك فإذا لم تمد صالحاً

لهم رموك كما ترى فضلات الدبائح للخنازير !
ألا تحدثني عن أجرك ؟ إنك لتتناول اثني عشر
روبلًا فيما أظن . وأما أنا فأزبد عليك بروبل ونصف
روبل فكيف كان هذا ؟ في حين أن الشركة قد
فرضت للواحد منا خمسة عشر روبلاً إلى جريات
للوقوق والاضاءة ؟ كيف جعلت اثني عشر روبلاً
لك وثلاثة عشر روبلاً ونصف روبل لي ؟ من
رتب هذا المراتب ؟ أجبتني على هذا ثم قل إن الواحد
منا يستطيع أن يعيش ! إنك تفهم هذا على أنه
حساب روبلات زهيدة ! ولكن الأمر ليس
كما تظن ... فلقد كنت بالخطأ في الشهر الماضي
حين مر « المدير » تحفه ضروب التجارة والاحترام ،
وكان راكباً سيارة خاصة فنزل منها ووقف على
الرصيف ... دعنى ... لن أبقى هنا أبداً سأهيم
على وجهى ...

— إلى أين يا أخى « ستيفانيس » ؟ إن لك
هنا سكناً بقيك البرد ، وإن لك قطعة أرض وزوجاً
تقوم بخدمتك !

— آه ! قطعة أرض ... أنك لا تبصر غيرها !
ولكن ما الذى أفدته منها ؟ إنها خلاء حتى من
الشوك ! لقد زرعها في الربيع الماضي بشيء من
السكرنب أفندرى ماذا قال الملاحظ ؟ لقد جاء
سكران بعربد :

— أى شيء فعلت ؟ هل استأذنت أحداً ؟
هل سمح لك به ؟ لا يجوز أن يبق هذا ، ولا أثر
منه بسيط ! أفندرى أنه كان يعنى نفسه أن أنفجه
بضمة روبلات ... ثلاثة جميلة ... لا بأس بها !
ثم قال « فاسيلي » بعد أن دخن في غليونه :

— كان مجيئي يا مولاي في مايو الماضي
— حسن ... أشكرك ... من هو صاحب

الرقم ١٦٤ ؟

فأجابه الملاحظ الذي كان بصحبته :

— « فاسيلي سبيريدونوف »

— سبيريدونوف .. سبيريدونوف .. آه ، أهو

ذلك الفتى الذى عوقب فى العام المنصرم ؟

— نعم .. إنه هو

— حسن سنرى ، فلنمض ..

فسحب الرجال المربة وبدأت تسير ..

نظر « سيمون » إليهم لحظة ثم قال :

— لا بد أن يكون لهم شأن مع جارنا

وبعد ساعتين — انصرف فيهما « سيمون »

إلى عمله — أبصر شخصاً قادماً من منعطف الطريق

سائراً حذاء الخط ، وكأنه يحمل شيئاً أبيض فوق

رأسه .. وتطأ « سيمون » وأطال نظره .. فاذا به

يرى « فاسيلي » ، لقد كان ممسكاً بمصا فى يده ،

وعلى عاتقه حزمة بيضاء ، وكان وجهه ملففاً بمنديل

— إلى أين أيها الجار ؟

فاسترب « فاسيلي » ، وكان منظره غريباً ،

ووجهه مثيراً للدهشة ، بعينيه الواسعتين الجاحظتين

وحاول أن يتكلم فانفجر قائلاً :

— إني ذاهب إلى « موسكو » إلى حيث

« اللجنة »

— إلى اللجنة ؟ أ كذلك ؟ .. لترفع شكواك

على ما أظن ؟ لا يا أخى .. تناس ذلك .. أسقطه

من بالك

— لا ... لن يكون ذلك ! يستحيل . انظر

لقد صفعنى على وجهى فأدماه ! لن أنسى هذا

— ولولا أن تربت ، وتحملت ، لكنت

بطلت به ...

— مجيئاً يا أخى ... اسمح لى أن أقول إنك

رجل حديد الطبع ، سربيع التأثر !

— كلا ، لست كما تصف ، بل إنى أتأمل الحقيقة

ثم أجهر بها .. وعلى كل فسينال الملاحظ جزاءه الذى

يستحق ... سأرفع شكواى إلى الرئيس ... ثم

كان الأمر كما قال .. إذ رفع شكواه إلى الرئيس .

... وجاء « الرئيس » لتفتيش الخط ، فقد

كان من المنتظر أن يطراً عليهم أحد من

« بطرسبورج » بعد ثلاثة أيام ، ففحص الخط

لا كمال نواقصه قبل وصول ذلك الطارىء .. لقد

سويت الطريق ، وأساحت المسامير ، والعوارض

واختبرت المقد بالمطارق وصبغت الأعمدة ، ونثرت

الزمال الصفراء فى مفارق الطرق ... وبعثت

الحارسه المجوز بزوجهما المحرم ذلك الأسبوع

ليجئت الأعشاب !

أما « سيمون » فقد أجهد نفسه طوال ذلك

الأسبوع حتى استوي له كل شئ على ما يرام ...

لقد رفا ثوبه وغسله ، ولأع طاولته المدينية

« بفسار الطابوق » حتى بدت صقيلة متوهجة ،

وكذلك كان أمر « فاسيلي » الذى جدد فى عمله

أى جدد

... وصل « الرئيس » إلى المحطة فى مركبته

الخاصة ... واندفع إلى مكان « سيمون » ، فقام إليه

هذا غفيا تحية عسكرية . . . لقد كان كل شئ على

ما يرام

— كم مضى عليك منذ مجيئك ؟

ما حييت ولن أدع الأمر يمر بسلام

وأخذ « سيمون » ذراع صديقه بين يديه
ثم قال :

— لا بأس يا أخى ... لا بأس ؛ إسمح لى أن
أقول لك إنك لن تصلح شيئاً مطلقاً
— لن أصلح شيئاً ، نعم أنا عالم بهذا ، لقد
صح قولك عن « قسمة الله » ، لن أصلح شيئاً من
أجل نفسى .. ولكن علينا أن نتمسك « بالحق »
أيها الصديق

— أرجوك حدثنى كيف تم هذا ؟

— اسمع ... لقد فحص كل شيء ، نزل من
الركبة ودخل الدار وكنت عارفاً بعنانيته بالتدقيق
والفحص فهيمات كل شيء ، وأعددت إعداداً
حسناً ، وجعلته على خير ما يكون .. وهم بالخروج
لولا أنى رفعت إليه ظلامتى ، فصرخ قائلاً :

— هذا تفتيش إدارى ، لا يجوز لك عرض
شكواك الحقيرة هذه عليه ، هذا إلى أن هذه الأرض
التي زرعت أرض أميرة لاحق لك بأن تملأها
قدارة بكرنبك ذاك ... ولم أستطع أن أقول شيئاً
أجابه به بمد هذا ... ثم ... ثم أهوى على وجهى
بضربته التي ترى آثارها ، ولبثت فى مكانى كأن
ذلك لى هو حُكم النصفة ، وقرار « المدل » ...
وانصرفوا عني ذاهبين ، وغسلت وجهى وفكرت
فيما عسانى أقوله لزوجى ... وانصرف « فاسبلى »
وهو يقول :

— أترانى سأدرك المدل الذى أريد ؟

— وستذهب ماشياً ؟

— سأسمى أنت أسافر فى قطار البضاعة ،

وسأكون فى موسكو غداً

ثم افترقا ...

... طال ارتعاب زوج « فاسبلى » عودة زوجها.
إنها الآن هى التى تقوم بأعماله المسؤول عنها ليل
نهار ، حتى صرّ فى اليوم الثالث مفتش من مفتشى
القطار وكانت المحطة آتداك مزدحمة ، فههنا قاطرة
وهناك عربة شحن ، وبقرها عربتان أخريان من
عربات الدرجة الأولى . وقد شغل كل هذا الزحام
المفتش عن أن يتحرى أو يفتش ... غير أن
« فاسبلى » ما يزال غائباً الآن ... وفى اليوم الرابع
أتى « سيمون » زوجة جاره فى بمض الطريق —
وكانت حجرة المينين ، بادية النعب — فسألها عن
زوجها : هل عاد ؟ فأشارت إليه بالنفى ولم تخرج جواباً
وانصرفت إلى سيدتها

كان سيمون حذق فى صغره كيفية صنع المزامير
من غصون الصفصاف فكان يقطع لباب الشجر
الطري ويجوفها ويشقها من أماكن خاصة ، ثم
يبرى لها « مكان الغم » فإذا تلك العصاة قد استوت
له آلة يستطيع أن يوقع عليها ما شاء من ضروب
الأنعام ؛ وكان يستغل أوقات فراغه فى صنع
أمثال هذه المزامير ويبيع بها إلى القرية مع حارس
من حراس قطار الشحن — له به معرفة سابقة —
ويقبض « كويكين » عن كل واحد من تلك المزامير
وكان قد مضى على مرور « المفتش » ثلاثة أيام
حين ترك « سيمون » مهمة التلويح لقطار الساعة
السادسة إلى زوجه ومضى إلى الغابة يقطع بعض
أخشاب الصفصاف — بمد أن خبر الخط بنفسه
ليتأكد من سلامته
وكانت خيرة عيدان الصفصاف تنبت حول

راكب لاشحن ا وليس في استطاعته إيقافه إذ ليس لديه علم الخطر الأحمر ، وليس في مقدوره أن يعيد الخط بيديه المجردتين إلى وضعه السابق . وإذا فعله أن يركض إلى مكان قريب . إلى داره ليحضر الأدوات . ومنك يا إلهي النجدة ..

وانطلق « سيمن » نحو داره بسرعة فائقة وابتمد عن الغابة . غير أنه ما يزال بينه وبين داره نحو مئتي ياردة !

إنها الساعة السادسة الآن ، وسيكون للقطار هنا بعد دقيقتين . أيها الإله الكريم أنقذ الأرواح البريئة . لقد ارتسم أمام ناظري « سيمن » النظر بكامله ، فهذه القاطرة تتقدم عجالاتها الأمامية إلى مكان الخطار ثم تتبعها العجلات الأخرى ! يا للهول ! هنالك موضع الخطر ومن تحته أنحدار خمس وعشرين قدماً — ارتفاع السد ! تلتكم جموع الأطفال والنساء الحاشدة في عربات الدرجة الثالثة وهم جميعاً ساهون لا يتوقعون حدوث الكارثة ولا يدرون عنها شيئاً كلا ... ليس في الوقت سعة للركض إلى الدار ، فليعد أدراجه إذن ...

استدار « سيمن » راكضاً من حيث أتى وهو لا يدري ما يفعل ، مضاعفاً سرعته في الركض ، غير مهتد إلى حل ، جاهلاً نهاية هذه المشكلة !

عاد إلى حيث كان أصاب الخط التخريب ، إن عصبه كانت مكومة هناك ، فوقف لحظة ، ثم أخذ إحداها ، وابتمد راكضاً — لقد وصل إلى أذنيه صفير القطار البعيد ، وها هي ذى القضبان بدأت تهتز وكانت قواء قد خارت ولم يعد باستطاعته أن يواصل الركض . إن بينه وبين مواطن الخطر الآن قرابة مائتي ياردة ، لقد خيل له أنه توصل إلى حل معقول (٥)

مستنقع في جوف الغابة ... فقص « سيمن » إلى ذلك المكان واحتطب منه كفايته ثم تاهب للرجوع كانت الشمس قد تضيفت للغروب ، وكان يحيم على المكان سكون رهيب لا يسمع من خلاله غير زفرقة الريح ، وحفيف الفصون ، وخشخشة (١) الأوراق الجافة المنتثرة على أرض الغابة ... وسار « سيمن » حتى قارب خط سكة الحديد فخيل إليه أنه يسمع طرقاً على معدن ، فخب السيريليري ما هذا . إن الخط في هذه المنطقة لا يحتاج إلى إصلاح فما تعليل هذا الطرق ؟

وخرج من الغابة فرأى على « سدة القطار » رجلاً قد جلس الفرفصاء وكأنه مشغول بشيء بين يديه ، فدنا منه « سيمن » في حذر ، وكان يظن أنه رجل جاء لسرقة بعض صوابير الخط ! ثم أنعم فيه النظر — وكان الشخص قد نهض — فرأى 'مُخْبِلاً' أسمر من تحت الخط الحديدي لينحرف به عن اتجاهه .. لقد حاول « سيمن » أن يصرخ به ، ولكن كيف ؟ إنه .. « فاسيلي » فانقض عليه بسرعة عجيبة ، غير أن « فاسيلي » كان قد طفر إلى الجانب الثاني من السد ، حاملاً إزميله معه

— فاسيلي ستيف، نيش — أيها الأخ — أيها الصديق . عد إلى . هات أزميلك لنعيد الخط إلى ما كان . لن يعلم بهذا أحد ؟ عد . سارع وأنقذ « روحك » من اقتراف الأثم .

ولكن فاسيلي لم يعد بل أوغل في الغابة هرباً ! وقف « سيمن » حيال الخط المفصومة عراه — تاركاً عيادانه تنتثر — ... إن القطار الآتي قطار

(١) صوت حركة القطار والثراب والثراب الجديد أو الدرع أو ما أشبه ذلك، وهي من الكلمات الدارجة التي تستعملها العامة في العراق بهذا المعنى .

ترنحه قبل مرور القطار ، فلا يراه السائق أو يشعر به ! أدركنى يا إلهى برحمتك ... وأظلمت عيناه ، وتبدل ذهنه ، فهو لا يرى شيئاً مما حوله ... ثم سقط العلم من يده ! غير أن علمه المدمى لم يسقط ... بل أخذته منه يد شخص (١) لا يدري من هو ، وظلت تلوح به إلى موعد مرور القطار !

رأى هذا الشهيد سائق القطار فأوقف قاطرته فنزل الركاب يستطلعون طلع الأمر ، متجهين ليروا ... ماذا ؟ رجل فاقد وعيه قد غطاه الدم ، وبقربه آخر ممسكاً بعلم مدمى مربوط بمصا صغيرة ...

ونظر « فاسيلي » إلى ما حوله ، ثم لوى رأسه وهو يقول :

« اقبضوا على ... فقد كنت سبب ما ترون ! »
فخرى شراب السهوى « بغداد »

فرفع قبعته واستخرج منها منديلاً قطنياً ثم سحب سكينه وحز ذراعاً قائلاً :
— باركنى يا إلهى !

فندفق الدم غزيراً قانياً حاراً ، فبلل منه منديله ثم نشره وعلقه على العصا الصغيرة ، ثم أمسك بعلمه الأحمر هذا ينتظر القطار ، ووقف هناك يلوح بعلمه . إنه ليتراءى له أن سائق القطار لم يره فهو يعضى مسرعاً حتى يقارب الوضع المشؤوم فيتردى كان دمه ما يزال يتدفق بفزارة ، فالصق جرحه بجسده ضاغطاً عليه ليوقف تدفق الدم ، ولكن ذلك لم يفده . لقد كان جرحاً رغبياً ^(١) .. إنه يشعر بالدوار يستولى عليه ، والدباب يتراقص أمام عينيه . ثم عم الظلام فهو لا يرى شيئاً ، ولكنه يسمع مثل دقات الجرس . إن شيئاً واحداً يشغله : خوف

(١) الجرح الرغب العميق

بيت الله الحرام مهدت السبيل إليه

﴿ شركة مصر للملاحة البحرية ﴾

ببواخرها الفاخرة و فنادقها الفخمة

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً

جميع الاستعلامات من شركة مصر للملاحة البحرية

رقم ١٥١ شارع عماد الدين — القاهرة